**تفسير الآيات من (36 – 42)، حق الله وحق العباد**

بحث فى علم التفسير

إعداد / عادل محمد فتحي

قسم الدعوة وأصول الدين

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

adel.mater@mediu.edu.my

**الخلاصة – هذا البحث يبحث فى حق الله وحق العبا**

**الكلمات المفتاحية – حق، العباد، احسانا**

* **.المقدمة**

 **الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة حق الله وحق العباد**

* **.عنوان المقال**

**الآيات:**

**{ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ} [النساء: 37:36].**

**ب. تمهيد بين يدي الآيات:**

**في هاتين الآيتين نود أن نتوقف عند ما يلي:**

**ما وجه المناسبة بين الحديث، والأمر بعبادة الله، والإحسان إلى من ذكرتهم الآية الكريمة، وما سبق ذلك من الآيات. ثُمّ ما هو المعنى الإجمالي للآيتين؟ ثُمّ ما المراد بعبادة الله وحده لا شريك له؟ وكيف يكون الإحسان إلى الوالدين، وإلى ما جاء في الآية الكريمة من الإحسان إلى ذي القربَى واليتامى والمساكين، وما إلى ذلك، وما المراد بهؤلاء؟ ثُمّ ختام الآية الأولى بقوله:{ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ} وبيان أن الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله هم هؤلاء الذين قال الله فيهم:{ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ} ما المراد بهؤلاء؟ وما معنى:{ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ}؟**

**ج. وجه المناسبة:**

**تستطيع أن تختصر هذه المناسبة في كلمات معدودات فتقول: بعد أن بين الله  ما بين من معالم شرعه، ودينه أراد  أن يجمع القلوب على طاعته، وعلى محبته بالإحسان إلى الوالدين والأقارب والمساكين والجيران وما إلى ذلك، فقال:{ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ}.**

**حق الله على العباد:**

**تبدأ الآية الأولى بالأمر بعبادة الله وحده لا شريك له فتقول:{ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ}.**

**والأمر بعبادة الله وحدَهُ هي الأساس الذي يُشاد عليه البناء، فكل التشريعات السابقة، وكل ما جاء من أوامر، وما جاء من نواهٍ، وما جاء من توجيهات أساسها أن يفيء الناس إلى الله بالعبادة، والطاعة، والمحبة، والتعلق به وحده، وألّا يشركوا به شيئًا من معبوداتهم، فهذا هو الأصلُ الذي يبنى عليه البناء، ولذلك سنرى في آيات هذه السورة مرتين قول الله تعالى:{ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ} [النساء: 48] فهذا إذن أمر الله بالعبادة له وحده، وتأكيدًا لهذا المعنى يأتي قوله:{ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ} ولاحظوا معي قوله:{ﮜ} فهي تنكير يفيد التقليل، أي: ولا تشركوا به شيئًا أيّ شيء من الأشياء، وإنّما ينزه الله وحده عن الشريك من المعبودات التي يعبدها المشركون، وهذا حق الله على عباده؛ ولذلك جاء في حديث معاذ: «يا معاذ، أتدري ما حقُّ الله على العباد؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: أن يعبدوه ولا يشركوه به شيئًا. ثُمّ قال: أتدري ما حقُّ العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: ألّا يعذبهم».**

**إذن فهذا هو الحق الأول في هذه الآية الكريمة، وهو الأساس الذي يُشاد عليه البناء.**

**بر الوالدين:**

**يتلو هذا الحق حق الوالدين، فيقول ربُّنا:{ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ وإنّما ثَنّى الله  بالإحسان إلى الوالدين؛ لأنّ حقّ الوالدين مقدمٌ بعد حقِّ الله على سائر الحقوق، وكثيرًا ما نرى القرآن الكريم يجمع بين حقِّ الله، وحقِّ الوالدين، فالله  هو الموجد الأصلي للإنسان، والأبوان هما السبب الظاهر لهذا الإيجاد، ولذلك نقرأ في القرآن قول الله تعالى في عدة مواضع:{ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ} [الإسراء: 23] ونقرأ: { ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ} [لقمان: 13:14].**

**إذن فهذا هو الإحسان الذي يكون للوالدين، ولكنّ السؤال هنا: ما هو الإحسان؟**

**الإحسان لو تأملنا؛ لعلمنا أنّ الإحسان هو مرتبة الكمال في ما يصنع الإنسان، ولذلك لو تأملنا في حديث جبريل # لما جاء لرسول الله  يسأله عن الإسلام، فقال الرسول : «الإسلامُ أن تشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضانَ، وتحج البيت إن استطعتَ إليه سبيلًا» وسأله عن الإيمان فقال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» ثُمّ سأله عن الإحسان، فقال : «أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لمْ تكن تراه فإنّه يراك» فالإحسان إذن مراقبة دائمة للوصول إلى الكمال في أداء العمل، ولهذا أحب الله المحسنين. الله يحب المحسنين؛ لأنّهم بذلوا غايةَ الجهد في ما كُلفوا به من قبل الله  فالإحسان إذًا جامع لكل ألوان الخير، وبالنسبة للوالدين ومن ذكرتهم الآية الإحسان هنا يعني: مرحلة عالية من أداء الواجب إلى هؤلاء.**

**فالمسألة إذًا ليست مجرد توفير ألوان من الطعام، أو من الشراب، أو من الرعاية، أو من العناية، إنّما بذل أقصى الجهد للوصول إلى درجة الكمال الذي يشعر معه الأبوان، ويشعر معه الأقارب، ويشعر معه هؤلاء الذين نقرؤهم في الآية التي معنا يشعر كلُّ واحد منهم أنّك بذلت أقصى ما في وسعك بكل الحب، وبكل الإخلاص، وبكلِّ الثقة دون مَنٍّ ودون ضجرٍ، فيمكن لك أن تؤدي شيئًا لهؤلاء، ولكنّ الضجر، وعدم الرضا بادٍ على وجهك، فأنت تفعل هذا ومن تفعل هذا له يتمنى أنّك لمْ تفعل لِمَا يرَى فيك من ضيق، وعدم رضا عمّا تقدمه له، وليس هذا من الإحسان في شيء، إنّما الإحسان يعني -كما ذكرنا- أن تبذل جهدًا خاصًّا في توصيل ما تريد من البِرِّ، ومن العطاء، ومن الجود، ومن الكرم، ومن الرعاية، ومن العناية مع تقديم أقصى ما يمكن من ألوان التودد والتحبب لهؤلاء حتى تشعرهم بأنّك تفعل ما تفعل وأنت راضٍ عن ذلك كل الرضا؛ بل تشعرهم أنّك لمْ تؤدِ واجبك على الوجه الذي يرضيهم إنّما أنت بذلت أقصى ما في وسعك من أجل إسعادهم، ومن أجل القيام بحقوقهم، ولهذا جاء قوله:{ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ} نلحظ من كلمة:{ﮟ} أنها جاءت نكرة والتنكير يفيد التعظيم، فهو إحسانٌ بمعنى أنّك تؤدي عملًا فيه من الحسن، وفيه من الجمال، وفيه من الروعة، ما يجعل هؤلاء يشعرون بالرضا عمّا قدمت لهم، ولذلك حين أوصى الله  بالإحسان إلى الوالدين قال:{ﮞ ﮟ}**

**يقول القرطبي: في هذا الإحسان بِرّهما، وحفظها، وصيانتهما، وامتثال أمرهما، وإزالة الرق عنهما، وترك السلطنة عليهما.**

**فالواجب في هذا الإحسان أن يشعر الابن بأنّه مدينٌ إلى أبويه، ولذلك وجدنا حرص القرآن على حثِّ الأبناء على الابتعاد عمّا يجرح شعور الأبوين، حيث يقول ربُّنا:{ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ} [الإسراء: 23] فقوله:{ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ} مجرد هذا التأفف، وهو إظهار الضجر الذي قد يبدو من بعض الأبناء هذا أمر نهي عنه القرآن العظيم، ويُتبع الله  هذه الآية بقوله:{ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ} [الإسراء: 24].**

**وإذا كانت الذلة لا تجوز من المؤمن لأحدٍ من الناس إلا ما ذكر الله  من حال المؤمنين:{ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ} [المائدة: 54] فإن هذه الذلة محببة بالنسبة لله  في تعامل الأبناء مع آبائهم، فالله يحب من الأبناء أن يفعلوا هذا، وأن يكثروا من الدعاء لأبويهم كما قال تعالى:{ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ} بل إنّ الرسول  أوصى بالأبوين كثيرًا. فقد روَى الإمام البخاري ومسلم عن ابن مسعود > قال: «سألت النبي  أيُّ العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: الصلاة لوقتها. قلت: ثُمّ أيّ؟ قال: بِرُّ الوالدين. قلت: ثُمّ أيّ؟ قال: الجهاد في سبيل الله».**

**حقوق الأقارب:**

**بقي أن نعرف كيف يكون الإحسان إلى ذي القربى كما جاء في قوله:{ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ} الأقارب: هم أهلك وعشيرتك من جهة الأمِّ أو من جهة الأب، والإسلام ينظر إلى الأسرة على أنّها اللبنة التي يُبنى بها المجتمع، فإن قام كل قريب بحق قريبه فواساه بنفسه، وبماله، وبجاهه، وبما مَنَّ الله به عليه كانت هذه الأُسر فيها من التكافل، والتناصر، والتحاب، والتعاون ما يجعل الإنسان يقوم بهذا الحقِّ ثقة في فضل الله وفي وعد الله، وإذن فالأقارب هم اللبنات التي يُشاد بها المجتمع، وإن سعدت هذه اللبنات، وقويت هذه الأُسر، وقام كل قريب بحقِّ قريبه، أمكن للأمة أن تستغني عن كثير من التدابير التي تقوم بها لإسعاد الناس؛ لأنّ كلّ أسرة ستكون وحدةً قائمةً بذاتها يعطف كبيرها على صغيرها، وغنيها على فقيرها، ويُوقر الناس بعضهم بعضًا، فيكون التواد، ويكون التحاب، وتكون السعادة التي تعم المجتمع.**

**نقرأ في هذا بعض ما جاء في كتاب الله  من الأمر بإعطاء هؤلاء الأقارب حقوقهم، فتقرأ قول الله تعالى:{ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ} [الإسراء: 26].**

**حقوق اليتامى والمساكين:**

**أيضًا يذكر الله  في الآية الكريمة:{ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ} [النساء:36] واليتامى سبق الحديث عنهم، وكان الحديث عن اليتيم صاحب المال، وصاحب المال الله  أقام عليه وصيًّا وأوصاه به خيرًا، وجعل الأمة كلها قائمة على هذا الوصي بالمراقبة والمحاسبة؛ حتى لا يظلم اليتيم، فإذا ما وصل إلى سن البلوغ، ووصل إلى سن الرشد، وأمكن له أن يتسلم ماله دفع هذا الوصي هذا المال لهذا اليتيم تحت مراقبة ورعاية الشهود كما ذكرنا ذلك في الآيات السابقة.**

**يبقى هذا اليتيم الذي لا مالَ له، ولعلّ المراد في الآية هو هذا الصِّنف من اليتامى الذي جمع بين اليُتم وبين الفقر فلمْ يجد له مَن يقوم بأمره، وهذا اليتيم الفقير يحتاج إلى من يقوم بأمره، ومن يرعاه، ومن يحسن إليه، وهذه عظمة هذا الإسلام الذي جاء يحث المسلمين، ويحث الأمة على أن تقوم بهذا الواجب، وفرض له في بيت مال المسلمين ما يكفيه، ولكنّ أيضًا حثَّ الناس على أن يقوموا بهذا الأمر كل بحسب جهده، وبحسب عطاء الله له يعطف الله  على ذي القربى واليتامى يعطف المساكين، والمساكين جمع مسكين والله  في الصدقات قال:{ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ} [التوبة: 60] والمسكين هو الذي أقعدته الحاجة فلمْ يجد سبيلًا للعمل ولا للرزق، ولمْ يجد ما يقوم بأمره، وهذا المسكين لا شك أنّه في حاجة إلى من يرعاه، ومن يقوم بأمره، ومن يحسن إليه، وهذا هو الذي نراه في الآية الكريمة كما جاء قول الله تعالى:{ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ} ليشمل أصناف الجيران، والجار على كل حال له منزلة خاصة في دين الله.**

**المراجع والمصادر**

1. **ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، (تفسير القرآن العظيم) دار الراية للنشر والتوزيع، 1993م.**
2. **الشوكاني، محمد بن علي الشوكاني، (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) دار الكتاب العربي، 1999م.**
3. **الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) بيروت، دار الفكر، 1995م.**
4. [**أبو السعود محمد بن العمادي الحنفي**](http://www.adabwafan.com/browse/entity.asp?id=13149)**، (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) تحقيق: محمد صبحي حسن حلاق، دار الفكر، 2001م**
5. **الأندلسي، أبو حيان الأندلسي، (البحر المحيط) دار الكتب العلمية، 2001م.**
6. **أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري، (فتح البيان في مقاصد القرآن) راجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، إدارة احياء التراث الإسلامي، 1989م**
7. **أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، (الكشاف) دار الكتب العلمية، 2003م**
8. **الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (جامع البيان في تأويل القرآن) تفسير الطبري، دار الكتب العلمية، 1997م**
9. **الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي, (روح المعاني) دار الكتب العلمية، 2001م**
10. **الجزائري، أبو بكر جابر بن موسى الجزائري، (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) مكتبة العلوم والحكم، 1994م**
11. **السعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) دار ابن الجوزي، 1994م**
12. **الغرناطي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي الغرناطي، (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) لبنان، دار الكتب العلمية، 1993م.**